

Al-Zaytouna Centre
for Studies & Consultations



مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات

One Day Seminar

حلقة نقاش

The Palestinian Issue القضية الفلسطينية

Strategic Evaluation 2012 - Strategic Assessment 2013

تقييم استراتيجي 2012 - تقدير استراتيجي 2013

مداخلة

الوضع الإسرائيلي

ومساراته المحتملة 2013-2012

أ. محمود سويد



Crowne Plaza - Beirut - Lebanon
February 6th, 2013

فندق كراون بلازا - بيروت - لبنان
6 شباط / فبراير 2013

الوضع الإسرائيلي ومسارته المحتملة 2012-2013

• محمود سويد

الإخوة والأخوات

بدا لي وأنا أشرع في معالجة الموضوع الذي عهد به إليّ، أن الشجرة، وإن كانت مركز الفعل في حصيلة الصراع في حسابات مرحلة، لا تحجب عن نظر المراقب، الغابة؛ لذلك آثرت إلقاء نظرة مقتضبة على الغابة وأشجارها، فعذراً على هذا "الشطط".

أولاً: أوصلو - عشرون عاماً:

في أواخر هذه السنة 2013 يكون قد مرّ عشرون عاماً على اتفاقية أوصلو سنة 1993 للسلام بين "إسرائيل" والفلسطينيين، وهي المحاولة الأطول عمراً والأكثر جدية، وهي لذلك جديرة بأن تكون سنة المراجعة والمحاسبة، وتقويم المسار وتعويض الزمن المهدور.

عشرون عاماً حكم بنيامين نتنياهو "إسرائيل" خلالها ولايتين (الولاية الأولى: 1996-1999 والولاية الثانية: 2009-2013) ويتجه إلى تولي رئاسة الحكومة ولاية ثالثة (2013)، ليكون الوحيد بين زعماء "إسرائيل" منذ ديفيد بن جوريون الذي حكم "إسرائيل" ثلاث ولايات، شارك خلالها في قيادة/ وقاد التحول الداخلي في "إسرائيل" نحو اليمين واليمين المتطرف منذ مقتل إسحاق رابين سنة 1995، وكان المساهم الأكبر في إفشال أوصلو، من خلال المبدأ الذي أرساه أسلافه: فإوض القدس، والاستيلاء على مصادرها المائية وثرواتها الطبيعية.

خلال عملية التفاوض لتنفيذ اتفاقيات أوصلو التي استهلكت عشرين عاماً من عمر النضال الوطني الفلسطيني، تضاعف الاستيطان اليهودي أكثر من مرتين. فمن بين المصادر الكثيرة والأرقام المتفاوتة، اخترنا ثلاثة مصادر: بيتسلم (المركز الإسرائيلي لحقوق الإنسان)، ومركز الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. والأرقام بحسب هذه المصادر هي كما يلي:

• بيتسلم¹:

عدد المستوطنين سنة 1993

المجموع	الضفة الغربية	القدس
257,700	110,900	146,800

• مركز الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (OCHA)²:

عدد المستوطنين في نهاية سنة 2012

المجموع	باقي الضفة (عملياً جميع المستعمرات في المنطقة "ج")	القدس
525,000	325,000	200,000

• الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني³:

عدد المستوطنين في نهاية سنة 2011 (صدر في آب/ أغسطس 2012)

المجموع	باقي الضفة	القدس
536,932	337,285	199,647

وربما كانت هذه هي الحصييلة الأسوأ لسنوات أوصلو العجاف، وتفوق عليها سيل المشاريع الاستيطانية التي قرر نتياهو إغداقها على الضفة، وأخطرها قرار البناء في منطقة E1 الذي يجهز على مشروع الدولتين، ولذلك أثار غضباً أوروبياً غير مسبوق. وكانت هذه الهجمة الاستيطانية ردة فعل حكومة نتياهو على قرار الأمم المتحدة بالاعتراف بفلسطين دولة مراقب غير عضو (2012/11/29).

¹ See *Land Grab: Israel's Settlement Policy in the West Bank* (The Israeli Information Center for Human Rights in the Occupied Territories- B'Tselem, May 2002), pp. 17-18, http://www.btselem.org/download/200205_land_grab_eng.pdf

² United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs-Occupied Palestinian Territory (OCHA-oPt), Fact Sheet, December 2012 and January 2013, http://www.ochaopt.org/documents/ocha_opt_Jerusalem_FactSheet_December_2012_english.pdf and http://www.ochaopt.org/documents/ocha_opt_area_c_factsheet_January_2013_english.pdf

³ Palestinian Central Bureau of Statistics (PCBS), 2/8/2012, http://www.pcbs.gov.ps/Portals/_pcbs/PressRelease/settlmt2011E.pdf

لكن، على الرغم من الإحباط الذي أصاب الشعب الفلسطيني لأسباب كثيرة، أهمها الانقسام بين الضفة وغزة: كيانات وحكومتان؛ تغيير معالم الضفة والقدس بسبب "جدي" الاستيطان المشوّه لجغرافيا فلسطين وتراثها وحياة شعبها؛ تصميم الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على إفشال مشروع الدولة الفلسطينية المستقلة، على كامل الضفة والقطاع وعاصمتها القدس الشرقية. على الرغم من كل ذلك فإن نهايات سنة 2012 حملت عدة وعود:

أ. وعد فلسطيني:

• في تشرين الثاني/ نوفمبر 2012 شنّ الجيش الإسرائيلي عدواناً على قطاع غزة. كان نتّيا هو يريد تأديب القطاع ووقف إطلاق الصواريخ منه إلى "إسرائيل"، لكن صمود الشعب والمقاومة وفاعلية السلاح الصاروخي أفشلا هدف نتّيا هو واضطراه إلى عقد تسوية.

• وفي الشهر نفسه، حصلت فلسطين على صفة دولة مراقب غير عضو في الأمم المتحدة. وشكل التصويت في الجمعية العامة هزيمة للولايات المتحدة و"إسرائيل"، مقابل أكثرية دولية مرموقة لمصلحة الدولة الفلسطينية.

والحدثان المهّمّان وعدا الشعب الفلسطيني بمرحلة جديدة تتوحد فيها جميع طاقاته وإمكاناته، وتضع حداً للتآكل والتراجع وتراكم الخسائر.

ب. وعد عربي:

بنّت الثورات الديمقراطية في عدد من الدول العربية التي عمّر فيها الاستبداد والفساد، الأمل بأن تتولى الشعوب العربية زمام أمرها وتعيد بناء مجتمعاتها وتعوض ما فاتها من تنمية وتقدم. ولقد أثبتت الشعوب العربية دائماً -وقتما وحيثما سنحت فرصة- أن التزامها بالمسألة القومية ووعيا لمخاطر الصهيونية حقيقي وأصيل.

ومن التعسف أن تطالب الثورات الوليدة بنتائج سريعة بعد عقود من محو المجتمعات المدنية والقضاء على قواها الحزبية والنقابية والثقافية وتحويل الأوطان إلى سجون كبيرة ازدهر فيها الفساد والحرمان والتخلف.

ويحدوني الأمل بأن تشكل اليقظة الفلسطينية ونهوض قضيتها رافعة إضافية للشعوب العربية المنتفضة لما لهذه القضية من فعل قوي على مشاعر الأمة ودور فاعل في استنهاضها.

ج. وعد أمريكي:

يعتقد الكثيرون من العرب، صواباً أو خطأ، أن الرئيس الأمريكي كان مقيداً في ولايته الأولى بشروط، تملئها عادة الولاية الثانية على أي رئيس أمريكي، وأن أوباما سيتحرر في ولايته الثانية، إلى حد ما، من الضغط الصهيوني اليهودي (AIPAC) والضغط الصهيوني الأمريكي (وأشده تأثيراً الكونجرس).

ويعتقد الكثيرون من العرب، عن صواب، أن ننتياهو ناصب أوباما العداء، وخاض معارك انتصر له الكونجرس فيها ضدّ رئيسهم، فأذلتوه، وأن أوباما لن يغفر لنتياهو استعلاءه وغطرسته. والأهم أن أوباما سينتصر لأصوله الإفريقية، فهو يعرف معنى الظلم ويتألم مع المسحوقين.

د. وعد أوروبي:

أيد العدد الأكبر والأهم من الدول الأوروبية قرار الأمم المتحدة بشأن دولة فلسطين (أو امتنع من التصويت)، ولم يجار "إسرائيل" والولايات المتحدة سوى دولة أوروبية واحدة (بلغاريا). وعبرت أوروبا عن الغضب إزاء القرارات الانتقامية التي اتخذتها حكومة ننتياهو - ليبرمان ضدّ الشعب الفلسطيني، وخاصة الهجمة الاستيطانية، واتخذت مواقف تتسم، أول مرة، بالشجاعة كاستدعاء سفراء، والتهديد بعقوبات، ما يفتح ثغرة للأمل بتطوير موقف الاتحاد الأوروبي باتجاه استخدام الكثير من الأسلحة الفاعلة التي يملكها إزاء "إسرائيل"، وخاصة الاقتصادي منها.

ثانياً: الوضع الإسرائيلي في ولاية ننتياهو الثانية:

1- استطاع ننتياهو أن يثير في العالم صخباً مؤثراً لإقناعه بأن خطراً وجودياً يهدد "إسرائيل"، وأنها تمثل خطّ الدفاع الأول عن الحضارة الغربية، وأنها تشكل واحة وسط غابة من الوحوش الضارية. وأن قدرها أن تكافح دفاعاً عن الديمقراطية والقيم الغربية، ومن واجب الغرب الأخلاقي أن يمدّها بالحماية والدعم⁴. وقد صنفت حكومة ننتياهو المخاطر التي تحدق بـ"إسرائيل" بحسب الأوليات كما يلي:

⁴ "... إن أمريكا تحمي ظهر إسرائيل" "حينما يتم تهديد إسرائيل فالولايات المتحدة ستكون حاضرة"، "إن ما يهدد إسرائيل يهدد أمريكا وما يقوى إسرائيل يقوينا نحن"، في "... أول رحلة قمت بها... إلى إسرائيل منذ سنين طويلة... شاهدت آنذاك المنجزات العظيمة، والاعتزاز بتحويل الصحراء إلى ربيع أخضر..."، وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون، في مركز سابان لسياسات الشرق الأوسط، موقع وزارة الخارجية الأمريكية،

- الخطر النووي الإيراني، مستغلة، لتضخيم هذا الخطر، تصريحات المسؤولين الإيرانيين المتكررة عن محو "إسرائيل" وإزالتها من الوجود (ما يسمح لنتنياهو بأن يكرر الحديث عن خطر هولوكوست ثانٍ، وأن يحشد التعاطف والتأييد لـ"إسرائيل")⁵.
- السلاح الصاروخي الذي يزداد فاعلية من حرب لأخرى، والذي يطوّق "إسرائيل" من حزب الله ومن حماس ومن سورية وإيران.
- السلاح الكيماوي والاستراتيجي السوري، والخوف من انتقاله إلى حزب الله.
- خطر التطرف الإسلامي المتزايد نتيجة تفكك الدول العربية.
- الطائرات من دون طيار، وهو سلاح جديد ظهرت طلائعه في الطائرة التي أرسلتها طهران عبر المقاومة الإسلامية اللبنانية من جنوبي لبنان في 2012/10/6، واستطاعت اختراق الأجواء الإسرائيلية داحضة إدعاء الحماية الجوية المطلقة.
- الحرب الإلكترونية (السايبير) التي أنشئها نتنياهو لمواجهةها قبة الحديد الرقمية "هيئة الفضاء الإلكتروني"⁶.
- خطر التسلل واختراق الحدود، وخصوصاً من سيناء، حيث تدفق المتسللون غير الشرعيين مهدهدين "الطابع اليهودي والديموقراطي للدولة" كما قال نتنياهو. وكذلك الخطر الأمني المستجد من فوضى السلاح في سيناء بعد الثورة المصرية.

من أجل مواجهة هذه الأخطار:

- جعلت "إسرائيل" الخطر النووي الإيراني الخطر الأول الذي يهدد "إسرائيل"، وحمّلت العالم، وخاصة الولايات المتحدة مسؤولية مواجهة هذا الخطر.
- أقامت شبكة من الأسلحة المضادة للصواريخ: القبة الحديدية (وأخواتها مثل: حيتس، مقلع داود)⁷.

⁵ نتنياهو في مستهل جلسة مجلس الوزراء، موقع وزارة الخارجية الأمريكية، 2013/1/27.

⁶ عن هذا الخطر والمخاطر الأخرى التي تهدد "إسرائيل"، انظر: نتنياهو، 2013/1/3، موقع الخارجية الإسرائيلية؛ وقائد سلاح الطيران اللواء أمير إيشل، نشرة مختارات من الصحف العبرية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2013/1/30، العدد 1584.

⁷ أسلحة "إسرائيل" المضادة للصواريخ، عكيفا هاميلتون، "إرهاب مفلس"، جريدة جيزوزالم بوست،

2012/11/24، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2012/12/4.

• تراقب ليل نهار مناطق الحدود بين لبنان وسورية، وأغارت مقاتلاتها قرب هذه الحدود داخل سورية (2013/1/30)، وتحدثت عن تدمير قافلة من السيارات تحمل أسلحة متطورة من النظام السوري إلى حزب الله. (تصريح وزير الدفاع إيهود باراك -نشرة مختارات من الصحافة العبرية- 2013/2/4، العدد 1587.

• أقامت جداراً واقياً على الحدود مع مصر يمتد من غزة إلى إيلات، وأقامت جداراً آخر على الحدود مع لبنان. وهي في صدد إقامة جدار على الحدود مع سورية، "سيشمل عدة تعديلات تعتمد على طبيعة الأرض على طول هضبة الجولان..."⁸.

واستغلالاً لهذا "المناخ"، الذي سعت حكومة نتنياهو لإشاعته، أخذ نتنياهو يكرر التصريح بأن لا إخلاء لمستعمرات، "لأن كل مستعمرة يتم إخلاؤها تتحول إلى قاعدة للإرهاب الإيراني"، ضارباً لتأكيد ذلك مثلاً ما حدث في جنوبي لبنان وقطاع غزة، بعد إخلاتهما من قبل الجيش الإسرائيلي. بل ذهب إلى القول إنه يدرس مجدداً تقرير لجنة القاضي إدموند ليفي، الذي أوصى بشرعة البور الاستيطانية في الضفة، وعدم التعامل مع "يهودا والسامرة"، على أنها منطقة محتلة⁹.

ولم يكن إعلان نتنياهو بقبول قيام دولة فلسطينية إلى جانب "إسرائيل" (2009/6/14) في محاضرة في جامعة بار-إيلان في تل أبيب) سوى وسيلة أخرى للخداع والمراوغة، ولا استمرار المفاوضات دون نتائج، لكنه أحاط الاعتراف بشروط لاغية لمشروع الدولة: اعتراف الفلسطينيين بـ"إسرائيل" دولة يهودية وإنهاء النزاع معها إلى الأبد¹⁰.

والتأكيد على ضمّ شرقي القدس والإمعان في اختراق شوارعها وضواحيها بمئات المستعمرات والإنتشاءات. وفي الوقت نفسه ربط المنطقة (ج) التي تشكل 60% من مساحة الضفة بـ"إسرائيل" والتصريحات المتكررة بالعمل على ضمها.

2- وفيما بدا أن "ملك إسرائيل" دون منازع يقدم موعد الانتخابات البرلمانية ويوثق التحالف مع حزب ليبرمان (إسرائيل بيتنا)، محصناً معركته الانتخابية، ليضمن العودة إلى رئاسة الحكومة في

⁸ موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2013/1/6.

⁹ نتنياهو في مقابلة مع جريدة معاريف، نشرة مختارات من الصحافة العبرية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2013/1/18، العدد 1577، و28 كانون الثاني/يناير، العدد 1582.

¹⁰ نتنياهو في مركز مناخم بيغن، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2012/12/1.

ولاية ثالثة، هبت رياح الثورات العربية على المجتمع الإسرائيلي، فقامت في وجه حكومة اليمين واليمين المتطرف انتفاضة شعبية اقتصادية اجتماعية، رأس حريتها أبناء الطبقة الوسطى استمرت عدة أشهر ابتداء من صيف سنة 2011 وامتد تأثيرها إلى ميزان القوى في انتخابات الكنيست الـ 19 التي جرت في 2013/1/22.

ثالثاً: ميزان القوى نتيجة انتخابات الكنيست الـ 19:

إن أهم ما يعنينا في سياق هذه الانتخابات هو أن مسألة التسوية مع الفلسطينيين لم تحل موقفاً ملحوظاً في برنامج أي حزب من الأحزاب الفاعلة المتنافسة. وإذا كان من تأثير لنقدم أحزاب وسطية نتيجة الانتخابات، وانعكاس ذلك في تشكيل حكومة ننتياهو الثالثة (الذي رشحته لتشكيلها أحزاب اليمين القومي والديني) فإن ذلك لن يؤدي إلى أي تغيير في برنامج ننتياهو وتوجهاته في موضوع التسوية، بل سيقصر التأثير على قضايا داخلية، مثل الموازنة والضرائب وخدمة المتدينين العسكرية أو المدنية.. إلخ، إلا إذا افترضنا تحقق "الوعود" التي تحدثنا عنها في مطلع هذه المقالة (الفلسطينية والعربية والأمريكية والأوروبية)، بهذه النسبة أو تلك، فإن ذلك -لا ميزان القوى الداخلي الجديد- قد يحمل تغييراً في معادلات القوة والفعل.

الوجهان الجديدان الأبرز في الانتخابات: يئير لايبدي زعيم حزب "يش عتيد: ثمة مستقبل" (19 مقعداً) و نفتالي بينت زعيم حزب "البيت اليهودي" (12 مقعداً). الأول (لايبدي) يصنف "وسطاً" وحزبه خليط من يسار ويمين، ومتدينين وعلمانيين، وسيفاراد وإشكناز وصابرا، ومهاجرين من أصل روسي وآخرين من أصل أثيوبي... إلخ، رفض التحالف مع زعيمة حزب العمل شيلي يديموفيتش (15 مقعداً) ليشكلا مع آخرين جبهة معارضة، واختار أن ينضم إلى معسكر ننتياهو ويشارك في الحكومة الجديدة. وزعيمة "العمل" على أي حال لم تبد أي اهتمام بموضوع الاتفاق مع الفلسطينيين وركزت اهتمام حزبيها على القضايا الداخلية.

أما الوجه الجديد الآخر: نفتالي بينت فحزبه (البيت اليهودي) يعدّ حزب المستوطنين وهو ضد إقامة دولة فلسطينية، فهي بمثابة "انتحار" لـ"إسرائيل"، وهو لا يريد أن يعيش أولاده الأربعة تحت تهديد الفلسطينيين الدائم" فالدولة الفلسطينية ستكون "حرة في تشريع الأبواب أمام خمسة ملايين لاجئ فلسطيني. وهو وضع لا تستطيع "إسرائيل" تغييره"، والحل بالنسبة إلى بينت منح

الفلسطينيين مناطق كثافتهم السكانية 40% من الضفة الغربية، ولا يهتم الإسرائيليون أن تبقى مستقلة أو تنضم إلى الأردن¹¹.

رابعاً: مسارات محتملة:

إن القعود بانتظار التحولات في "إسرائيل" والإرهاصات العربية الواعدة وأوباما الجديد ووزيراه الجديدان (جون كيري للخارجية وتشاك هيغل للدفاع) واحتمالات الضغط الأوروبي، لن يفيد الفلسطينيين شيئاً إذا لم يبادروا إلى اعتبار القضية الوطنية الأولوية الأولى التي تستدعي حشد كامل طاقات الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج في خدمة برنامج تحرر وطني يتيح مختلف أساليب النضال دون استثناء أي منها، بحسب المراحل وحاجات الصراع. إن كل عناصر الدعم الأخرى تتحرك، عندئذ، بفاعلية أكبر، وتحقق نتائج أكيدة.

لقد نعم المجتمع الإسرائيلي بالهدوء والاستقرار والازدهار سنوات طويلة، بفضل التعاون الأمني الفلسطيني مع المخابرات الإسرائيلية، فلم تعد مسألة حقوق الفلسطينيين وقضية السلام ومتطلبات التسوية، همماً من هموم الإسرائيليين، وانعكس ذلك في البرامج الانتخابية التي خلت من أي اهتمام لافت في هذا الشأن.

إن عودة القضية الفلسطينية إلى جدول أعمال المجتمع الإسرائيلي والمجتمع الدولي بقوة مؤثرة هي فعل فلسطيني قبل أي عامل آخر.

¹¹ مداخلة بينت في نقاش عن السياسة الخارجية في 2013/1/8 في الجامعة العبرية في القدس، نقلت ملخصاً

عنه جريدة لوموند، 2013/1/10، ص 5.